شرح العقائد النسفية

للعلامة سعد الدين التفتازاني

تحقيق الدكتور الشيخ
أحمد حجازي السقا

مكتبة الكليات الأزهرية
٩ شارع الصنادقية - الأزهر - القاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله المتوحد بجلال ذاته وكمال صفاته ، المتقدس فى نعوت الجبروت عن شوائب النقص ، وسماته • والصلاة على نبيه محمد، المؤيد بساطع حججه ، وواضح بيناته ، وعلى آله وأصحابه ، هداة طريق الحق ، وحماته •

وبعـــد

فان مبنى علم الشرائع والأحكام ، وأســـاس قواعد عقـــائد الاســـلام :

هو علم التوحيد والصـــفات ، الموسوم بالكلام • المنحى عن غياهب الشكوك ، وظلمات الأوهـــام •

ولأن(١) المختصر المسمى بـ «العقائد» ، للامام الهمام ، قدوة علماء الاسلام ، نجم الملة والدين « عمر النسفى » ـــ أعلا الله درجتـــه فى دار السلام ـــ يشتمل من هذا الفن على غرر الفـــرائد ، ودرر الفوائد فى ضمن فصول• هى للدين قواعد وأصول • وأثناء نصوص، هى لليقين جواهر وفصوص • مع غاية من التنقيح والتهذيب ، ونهاية من حسن التنظيم والترتيب •

حاولت(٢) أن أشرحه شرحا يفصل مجملاته ، ويبين معضلاته وينشر مطوياته ، ويظهر مكنوناته ، مع توجيه للكـــلام فى تنقيح ، وتنبيه على المرام فى توضيح ، وتحقيق للمسائل غب تقرير ، وتدقيق للدلائل اثر تحرير ، وتفسير للمقاصد بعد تمهيد ، وتكثير للفوائد ، مع تجريد • طاويا كشح المقال ، عن الاطالة والاملال ، ومتجافيا عن طرفى الاقتصاد : الاطناب والاخلال • والله الهادى الى ســـبيل الرشاد ، والمسئول لنيل العصمة والسداد ، وهو حسبى ونعم الوكيل•

---

(١) وان : ص (٢) فحاولت : ص

اعلم أن الأحكام الشرعية ، منها ما يتعلق بكيفية العمل وتسمى فرعية وعملية • ومنها مايتعلق بالاعتقاد ، وتسمى أصلية واعتقادية• العلم(١) المتعلق بالأولى ، يسمى علم الشرائع والأحكام ، لما انها لا تستفاد الا من جهة الشرع ، ولا يسبق الفهم عند اطلاق الأحكام الا اليها • وبالثانية علم التوحيد والصفات ، لما أن ذلك أشهر مباحثه وأشرف مقاصده •

وقد كان (٢) الأوائل من الصحابة والتابعين — رضوان الله عليهم أجمعين— لصفاء عقائدهم ، ببركة صحبة النبى عليه السلام ، وقرب العهد بزمانه ، ولقلة الوقائع والاختلافات ، وتمكنهم من المراجعة الى الثقات ، مستغنين عن تدوين العلمين وترتيبهما أبوابا وفصولا ، وتقرير مباحثهما (٣) فروعا وأصولا •

الى أن حدثت الفتن بين المسلمين ، وغلب (٤) البغى على أئمة الدين ، وظهر اختلاف الآراء ، والميل الى البدع والأهواء ، وكثرت الفتاوى والواقعات ، والرجوع الى العلماء فى المهمات • فاشتغلوا بالنظر والاستدلال والاجتهاد والاستنباط وتمهيد القواعد والأصول، وترتيب الأبواب والفصول ، وتكثير المسائل بأدلتها ، وايراد الشبه بأجوبتها ، وتعيين الأوضاع والاصطلاحات ، وتبيين المذاهب والاختلافات •

وسموا ما يفيد معرفة الأحكام العملية عن أدلتها التفصيلية : بالفقه • ومعرفة أحوال الأدلة اجمالا ، فى افادتها الأحكام : بأصول الفقه،ومعرفة العقائد عن أدلتها : بالكلام• لأن عنوان مباحثه:كان قولهم الكلام فى كذا وكذا ولأن مسألة الكلام كانت أشهر مباحثه ، وأكثرها نزاعا وجدالا ، حتى أن بعض المتغلبة قتل كثيرا من أهل الحق ، لعدم قولهم بخلق(٥) القرآن ، ولأنه يورث قدرة على الكلام،فى تحقيق الشرعيات ، والزام الخصوم • كالمنطق للفلسفة ، ولأنه أول ما يجب من العلوم التى انما تعلم وتتعلم بالكلام ، فأطلق عليه هذا الاسم(٦) لذلك ثم خص به ، ولم يطلق على غيره تمييزا •

(١) فالعلم : ص
(٢) كانت : ض
(٣) مقاصدهما : غ •
(٤) وغلب : ط •
(٥) ظهرت فتنة خلق القرآن فى عهد الخليفة المأمون رضى الله عنه •
(٦) يعنى الكلام •

ولأنه انما يتحقق(١)بالمباحثة وادارة الكلام من الجانبين ، وغيره قد يتحقق بالتأمل ، ومطالعة الكتب ، ولأنه أكثر العلوم خلافا ونزاعا فيشتد افتقاره الى الكلام مع المخالفين والرد عليهم ، ولأنه لقوة أدلته صار كأنه هو الكلام دون ما عداه من العلوم • كما يقال للأقوى من الكلامين هذا هو الكلام ، ولأنه لابتنائه على الأدلة القطعية المؤيد أكثرها بالأدلة السمعية أشد العلوم تأثيرا فى القلب وتغلغلا فيه ، فسمى بالكلام المشتق من الكلم ، وهو الجرح • وهذا هو كلام القدماء •

ومعظم خلافياته مع الفرق الاسلامية • خصوصا المعتزلة لأنهم أول فرقة أسسوا قواعد الخلاف لما ورد به ظاهر السنة ، وجرى عليه جماعة (٢) من الصحابة — رضوان الله عليهم أجمعين — فى باب العقائد • وذلك أن رئيسهم « واصل بن عطاء » اعتزل (٣) مجلس « الحسن البصرى » — رحمه الله — لبقرر أن مرتكب الكبيرة ليس بمؤمن ولا كافر ، ويثبت المنزلة بين المنزلتين • فقال الحسن : قد اعتزل عنا ، فسموا المعتزلة • وهم سموا أنفسهم « أصحاب العدل والتوحيد» لقولهم بوجوب ثواب المطيع وعقاب العاصى على الله(٤)، ونفى الصفات القديمة عنه •

ثم انهم توغلوا فى علم الكلام ، وتشبثوا بأذيال الفلاسفة فى كثير من الأصول ، وشاع مذهبهم فيما بين الناس ، الى أن قال الشيخ « أبو الحسن الأشعرى » لأستاذه « أبى على الجبائى » : ما تقول فى ثلاثة اخوة مات أحدهم مطيعا ، والآخر عاصيا ، والثالث صغيرا ؟ فقال(٥) : الأول يثاب بالجنة • والثانى يعاقب بالنار • والثالث لايثاب ولا يعاقب • قال الأشعرى : فان قال الثالث : يارب لم أمتنى صغيرا ، وما أبقيتنى الى أن أكبر فأؤمن بك وأطيعك فأدخل الجنة ؟ (ماذا يقول الرب تعالى ؟)(٦) فقال: يقول الرب انى كنت أعلم(٧) أنك لو كبرت لعصيت فدخلت النار ، فكان الأصلح لك أن تموت صغيرا • قال الأشعرى : فان قال الثانى : يارب لم لم تمتنى صغيرا لئلا

---

(١) يتحقق بالتكلم : خ •
(٢) جماعة الصحابة : ط •
(٣) من مجلس : خ •
(٤) الله تعالى : خ •
(٥) ان الاول : خ •
(٦) ما بين القوسين : ط •
(٧) اعلم منك : خ •

أعصى فلا أدخل النار ؟ فماذا يقول الرب ؟ فبهت الجبائى • وترك الأشعرى مذهبه ، واشتغل هو ومن تبعه بابطال رأى المعتزلة ، واثبات ما وردت(١)به السنة ، ومضى عليه الجماعة • فسموا أهل السنة والجماعة •

ثم لما نقلت الفلسفة الى العربية وخاض فيها الاسلاميون حاولوا الرد على الفلاسفة فيما خالفوا فيه الشريعة ، فخلطوا بالكلام كثيرا من الفلسفة ، ليتحققوا مقاصدها فيتمكنوا من ابطالها • وهلم جرا الى أن أدرجوا فيه معظم الطبيعيات والالهيات ، وخاضوا فى الرياضيات حتى كاد لا يتميز عن الفلسفة ، لولا اشتماله على السمعيات • وهذا هو كلام المتأخرين •

وبالجملة هو أشرف العلوم لكونه أساس الأحكام الشرعية ، ورئيس العلوم الدينية ، وكون معلوماته : العقائد الاسلاميه • وغايته الفوز بالسعادات الدينية والدنيوية ، وبراهينه : الحجج القطعية المؤيد أكثرها بالأدلة السمعية .

وما نقل عن بعض السلف (٢) من الطعن فيه ، والمنع عنه ، فانما هو للمتعصب فى الدين ، والقاصر عن تحصيل اليقين ، والقاصد افساد عقائد المسلمين ، والخائض فيمالا يفتقر اليه من غوامض المتفلسفين• والا فكيف يتصور المنع عما هو أصل الواجبات ، وأساس المشروعات•

ثم لما كان مبنى علم الكلام على الاستدلال بوجود المحدثات على وجود الصانع وتوحيده وصفاته وأفعاله • ثم منها الى سائر السمعيات ، ناسب تصدير الكلام(٣) بالتنبيه على وجود ما يشاهد من الأعيان والأعراض ، وتحقق العلم بهما ليتوسل بذلك الى معرفة ماهو المقصود الأهم فقال :

(قال أهل الحق) وهو الحكم المطابق للواقع يطلق على الأقوال والعقائد والأديان والمذاهب ، باعتبار اشتمالها على ذلك ، والحكم يقابله الباطل وأما الصدق فقد شاع استعماله(٤) فى الأقوال خاصة،

---

(١) ما ورد به ظاهر السنة : خ .
(٢) من السلف : خ .
(٣) تصدير الكتاب : خ .
(٤) استعماله : سقط : خ .

ويقابله الكذب. وقد يفرق بينهما بأن المطابقة تعتبر في الحق من جانب الواقع ، وفي الصدق من جانب الحكم ، فمعنى صدق الحكم مطابقته للواقع ، ومعنى حقيته مطابقة الواقع اياه .

(حقائق الأشياء ثابتة) حقيقة الشيء وماهيته ما به الشيء هو هو ، كالحيوان الناطق للانسان ، بخلاف مثل الضاحك والكاتب ، مما يمكن تصور الانسان بدونه ، فانه من العوارض .

وقد يقال : ان ما به الشيء هوهو ، باعتبار تحققه حقيقة ، وباعتبار تشخصه هوية . ومع قطع النظر عن ذلك ماهية .

والشيء عندنا : الموجود . والثبوت والتحقق والوجود ، والكون : ألفاظ مترادفة ، معناها بديهي التصور .

فان قيل فالحكم بثبوت حقائق الأشياء يكون لغوا بمنزلة قولنا: الأمور الثابتة ثابتة . قلنا : المراد أن ما نعتقده حقائق الأشياء ، ونسميه بالأسماء من الانسان والفرس والسماء والأرض ، أمور موجودة في نفس الأمر ، كما يقال : واجب الوجود موجود . وهذا الكلام مفيد ربما يحتاج الى البيان . وليس مثل قولك : الثابت ثابت ، ولا مثل قوله :

أنا أبو النجم وشعري شعري

على ما لا يخفى .

وتحقيق ذلك : أن الشيء قد يكون له اعتبارات مختلفة ، يكون الحكم عليه بالشيء مفيدا بالنظر الى بعض تلك الاعتبارات ، دون البعض ، كالانسان اذا أخذ من حيث انه جسم ما ، كان الحكم عليه بالحيوانية(١) مفيدا . واذا أخذ من حيث انه حيوان ناطق ، كان ذلك لغوا .

(والعلم بها) أي بالحقائق من تصوراتها والتصديق بها وبأحوالها (متحقق) .

---

(١) مفيد بالحيوانية : س .

وقيل : المراد العلم بثبوتها للقطع بأنه لاعلم بجميع الحقائق.
والجواب : ان المراد الجنس ، ردا على القائلين بأنه لا ثبوت لشيء من الحقائق ، ولا علم بثبوت حقيقة ولا بعدم ثبوتها (خلافا للسوفسطائية) فان منهم من ينكر حقائق الأشياء ، ويزعم أنها أوهام وخيالات باطلة وهم العنادية ، ومنهم من ينكر ثبوتها • ويزعم أنها تابعة للاعتقادات ، حتى ان اعتقدنا الشيء جوهرا فجوهر ، أو عرضا فعرض ، أو قديما فقديم ، أو حادثا فحادث وهم العندية •

ومنهم من ينكر العلم بثبوت شيء ولا ثبوته • ويزعم انه شاك• وشاك فى أنه شاك وهلم جرا • وهم اللا أدرية •

لنا تحقيقا : أنا نجزم بالضرورة بثبوت بعض الأشياء بالعيان، وبعضها بالبيان • والزاما : أنه ان لم يتحقق نفى الأشياء ، فقد ثبتت ، وان تحقق ، فالنفى حقيقة من الحقائق ، لكونه نوعا من الحكم ، فقد(١) ثبت شيء من الحقائق ، فلم يصح نفيها على الاطلاق•

ولا يخفى أنه انما يتم على العنادية • قالوا : الضروريات منها حسيات ، والحس قد يغلط كثيرا ، كالأحول يرى الواحد اثنين ، والصفراوى يجد الحلو مرا • ومنها بديهيات • وقد يقع فيها اختلافات • وتعرض شبه يفتقر فى حلها الى أنظار دقيقة • والنظريات فرع الضروريات • ففسادها فسادها • ولهذا كثر فيها اختلاف العقلاء •

قلنا : غلط الحس فى البعض ، لأسباب جزئية ، لاينافى الجزم بالبعض بانتفاء أسباب الغلط • والاختلاف فى البديهى لعدم الالف أو لخفاء فى التصور ، لا ينافى البداهة • وكثرة الاختلافات لفساد الأنظار ، لا تنافى حقيقة بعض النظريات • والحق : أنه لا طريق الى المناظرة معهم ، خصوصا اللا أدرية • لأنهم لا يعترفون بمعلوم ، ليثبت به مجهول ، بل الطريق تعذيبهم بالنار ، ليعترفوا أو يحترقوا• و «سوفسطا» اسم للحكمة الموهة • والعلم المزخرف ، لأن «سوفا» معناه العلم والحكمة و « اسطا » معناه المزخرف ، والغلط • ومنه

---

(١) فقد : ط •

اشتقت السفسطة ، كما اشتقت الفلسفة من « فيلاسوفا » أى محب الحكمة .

(وأسباب العلم) وهو صفة يتجلى بها المذكور لمن قامت هى به ، أى يتضح ويظهر ، ما يذكر .

ويمكن أن يعبر عنه : موجودا كان أو معدوما ، فيشمل ادراك الحواس وادراك العقل من التصورات والتصديقات اليقينية وغير اليقينية ، بخلاف قولهم صفة توجب تمييزا لا يحتمل النقيض ، فانه وان كان شاملا لادراك الحواس بناء على عدم التقييد بالمعانى، والتصورات بناء على أنها لا نقائض لها . على ما زعموا — لكنه لا يشمل غير اليقينيات من التصديقات . هذا . ولكن ينبغى أن يحمل التجلى على الانكشاف التام الذى لا يشمل الظن ، لأن العلم عندهم مقابل للظن .

(للخلق) أى للمخلوق من الملك والانس والجن ، بخلاف علم الخالق — تعالى — فانه لذاته لا لسبب من الأسباب .

(ثلاثة : الحواس السليمة ، والخبر الصادق ، والعقل) بحكم الاستقراء . ووجه الضبط : أن السبب ان كان من خارج فالخبر الصادق ، والا فان كان آلة غير المدرك ، فالحواس والا فالعقل .

فان قيل : السبب المؤثر فى العلوم كلها هو الله تعالى ، لأنها بخلقه وايجاده من غير تأثير للحاسة ، والخبر الصادق(١)، والعقل ، والسبب الظاهرى ، كالنار للاحراق هو العقل لا غير ، وانما الحواس والاخبار ، آلات وطرق للعقل فى الادراك . والسبب المفضى فى الجملة بأن يخلق الله تعالى فينا العلم معه بطريق جرى العادة ليشمل المدرك كالعقل ، والآلة كالحس ، والطريق كالخبر ، لا ينحصر فى الثلاثة ، بل ههنا أشياء أخر ، مثل الوجدان والحدس والتجربة . ونظر العقل بمعنى ترتيب المبادىء والمقدمات .

---

(١) الصادق : سط خ .

قلنـــا : هـــذا على عـــادة المشايخ فى الاقتصار على المقاصد والأعراض عن تدقيقـــات الفلاســـفة فانهم لمـــا وجـــدوا بعض الادراكات حاصلة عقيب الاستعمال للحواس الظاهرة ، التى لا يتسك فيها سواء كانت من ذوى(١) العقول أو غيرهم ، جعلوا الحواس أحد الأسباب • ولمـــا كان معظم المعلومات الدينية مستفادا من الخبر الصـــادق ، جعلوه سببا آخـــر • ولمـــا لم يثبت عندهم الحواس الباطنة المسماة بالحس المشترك والوهم وغير ذلك • ولم يتعلق لهم غرض بتفاصيل الحدســـيات والتجريبيات والبديهيات والنظريات ، وكان مرجع الكل الى العقل : جعلوه سببا ثالثا ، يفضى الى العلم، بمجرد التفات أو بانضـــمام حدس أو تجربة أو ترتيب مقـــدمات • فجعلوا السبب فى العلم بأن لنا جوعا وعطشا ، وأن الكل أعظم من الجزء ، وأن نور القمر مستفاد من الشمس ، وأن « السقمونيا » مسهل ، وأن العالم حادث : هو العقل • وان كان فى البعض باستعانة من الحس •

(فالحواس) جمع حاسة ، بمعنى القوة الحساسة (خمس) بمعنى : أن العقـــل حاكم بالضرورة بوجـــودها . وأما الحواس الباطنة التى تثبتها الفلاسفة فلا تتم دلائلها على الأصول الاسلامية (السمع) وهـــو قوة مودعة فى العصب المفروش فى مقعر الصماخ يدرك بها الأصوات بطريق وصول الهواء المتكيف بكيفية الصـــوت الى الصماخ ، بمعنى أن الله تعالى يخلق الادراك فى النفس عندذلك.

(والبصر) وهوقوة مودعة فى العصبتين المجوفتين اللتين تتلاقيان فى الدماغ(٢)، ثم تفترقان ، فيتباديان الى العينين يدرك بها الأضواء والألوان والاشكال والمقادير والحركات ، والحسن والقبح وغير ذلك مما يخلق الله تعـــالى ادراكها فى النفس ، عند استعمال العبد تلك القوة (والشم) وهى قـــوة مودعة فى الزائدتين الناتئتين من مقدم الدماغ الشبيهتين بحلمتى الثدى ، يدرك بها الروائح بطريق وصولها

---

(١) اللغة الصحيحة أن تأتى همزة التوبة بعد سواء دائما مثل قوله تعالى : « سواء عليهم أأنذرتهم » ؟

(٢) الدماغ : سقط خ .

الهواء المتكيف بكيفية ذى الرائحة الى الخيشوم (والذوق) وهى قوة منبثة فى العصب المفروش على جرم اللسان ، يدرك بها الطعوم بمخالطة الرطوبة اللعابية التى فى الفم بالمطعوم ، ووصـــولها الى العصب (واللمس) وهى قوة منبثة فى جميع البدن ، يدرك بها الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة • ونحو ذلك عند التماس والاتصال به (وبكل حاســـة منها) أى الحـــواس الخمس (يوقف) أى يطلع (على ما وضعت هى) أى تلك الحاسة (له) يعنى : أن الله ـــ سبحانه وتعالى ـــ قد خلق كلا من تلك الحواس لادراك أشياء مخصوصة ، كالسمع للأصوات ، والذوق للمطعوم والشم للروائح ، لا يدرك بها ما يدرك بالحاسة الأخرى • وأما أنه هل يجوز(١)ذلك أو يمتنع ذلك؟ ففيه خلاف • والحق الجواز : كما أن ذلك بمحض خلق الله تعالى ، من غير تأثير للحـــواس ، فلا يمتنع أن يخلق اللـــه(٢) عقيب صرف البصرة ادراك الأصـــوات مثلا •

فان قيل : أليست الذائقة تدرك بها حلاوة الشيء وحـــرارته معا؟ قلنا : لا • بل الحلاوة تدرك بالذوق ، والحرارة باللمس الموجود فى الفم واللســـان •

(والخبر الصادق) أى المطابق للواقع • فان الخبر كلام ، يكون لنسبته خارج ، تطابقه تلك النسبة ، فيكون صادقا ، أو لا تطابقه فيكون كاذبا • فالصدق والكذب على هذا ، من أوصاف الخبر ، وقد يقالان بمعنى الاخبار عن الشيء على ما هو به ، أولا على ما هو به • أى الاعلام بنســـبة تامة تطابق الواقع أو لا تطـــابقه • فيكونان من صـــفات المخبر ، فمن ههنا يقع فى بعض الكتب الخبر الصـــادق بالوصف ، وفى بعضها خبر الصادق بالاضافة •

(على نوعين : أحدهما : الخبر المتواتر) سمى بذلك لمـــا أنه لا يقع دفعة بل على التعاقب والتوالى (وهـــو الخبر الثابت على ألســـنة قوم ، لا يتصور تواطؤهم) أى لا يجـــوز العقل توافقهم (على الكذب) ومصـــداقه : وقوع العلم من غير شبهة (وهـــو)

---

(١) يجوز ذلك : خ .

(٢) الله ش هـ .

بالضرورة (موجب للعلم الضرورى ، كالعلم بالملوك الخالية فى الأزمنة الماضية . والبلدان النائية) يحتمل العطف على الملوك، وعلى الأزمنة . والأول أقرب . وان كان أبعد فههنا أمران : أحدهما: أن المتواتر موجب للعلم . وذلك بالضرورة فانا نجد من أنفسنا العلم بوجود « مكة » و « بغداد » وأنه ليس الا بالاخبار . والثانى : ان العلم الحاصل به ضرورى . وذلك لأنه يحصل للمستدل وغيره ، حتى الصبيان الذين لا اهتداء لهم بطريق الاكتساب ، وترتيب المقدمات . وأما خبر النصارى بقتل عيسى — عليه السلام — واليهود بتأبيد (١) دين موسى — عليه السلام فتواتره ممنوع .

فان قيل : خبر كل واحد لا يفيد الا الظن . وضم الظن الى الظن لا يوجب اليقين .

وأيضا : جواز كذب كل واحد ، يوجب جواز كذب المجموع ، لأنه نفس الآحاد . قلنا : ربما يكون مع الاجتماع ما لا يكون مع الانفراد ،كقوة الحبل المؤلف من الشعرات .

فان قيل : الضروريات لا يقع فيها التفاوت ولا الاختلاف ، ونحن نجد العلم بكون الواحد نصف الاثنين ، أقوى من العلم بوجود « اسكندر » والمتواتر قد أنكر افادته العلم ، جماعة من العقلاء . كالسمنية والبراهمة .

قلنا ممنوع ، بل قد تتفاوت أنواع الضرورى ، بواسطة التفاوت فى الالف والعادة ، والممارسة ، والاخطار بالبال ، وتصورات أطراف الأحكام . وقد يختلف فيه مكابرة وعنادا ، كالسوفسطائية فى جميع الضروريات .

---

(١) لفظ « الابد » فى التوراة ، لا يدل على ان الابد ليوم القيامة ، بل الى يوم ظهور النبى الآتى المماثل لموسى لينسخ شريعته . النبى الامى الذى أخبر عنه موسى فى الاصحاح الثامن عشر من سفر التثنية .

(والنوع الثانى : خبر الرسول المؤيد) أى الثابت رسالته (بالمعجزة) والرسول : انسان بعثه الله ـ تعالى ـ الى الخلق لتبليغ الأحكام • وقد يشترط فيه الكتاب ، بخلاف النبى فانه أعم • والمعجزة : أمر خارق للعادة قصد به اظهار صدق من ادعى أنه رسول الله ـ تعالى ـ (وهو) أى خبر الرسول (يوجب العلم الاستدلالى) أى الحاصل بالاستدلال ، أى النظر فى الدليل • وهو الذى يمكن التوصل بصحيح النظر فيه الى العلم بمطلوب خبرى • وقيل : قول مؤلف من قضايا يستلزم لذاته قولا آخر • فعلى الأول الدليل على وجود الصانع : هو العالم • وعلى الثانى : قولنا العالم حادث ، وكل حادث فله صانع • وأما قولهم : الدليل هو الذى يلزم من العلم به ، العلم بشىء آخر ، فبالثانى أوفق •

أما كونه موجبا للعلم ، فللقطع بأن من أظهر الله المعجزة على يده ، تصديقا فى دعوى الرسالة ، كان صادقا فيما أتى به من الأحكام • واذا كان صادقا يقع العلم بمضمونها قطعا • وأما أنه استدلالى ، فلتوقفه على الاستدلال ، واستحضار أنه خبر من ثبتت رسالته بالمعجزات • وكل خبر هذا شأنه ، فهو صادق • ومضمونه واقع (والعلم الثابت به) أى بخبر الرسول (يضاهى) أى يشابه (العلم الثابت بالضرورة) كالمحسوسات والبديهيات والمتواترات (فى التيقن) أى عدم احتمال النقيض (والثبات) أى عدم احتمال الزوال بتشكيك المشكك فهو علم بمعنى الاعتقاد المطابق الجازم الثابت • والا لكان جهلا أو ظنا أو تقليدا •

فان قيل : هذا انما يكون فى المتواتر فقط فيرجع الى القسم الأول • قلنا : الكلام فيما علم أنه خبر الرسول بأن سمع من فيه أو تواتر عنه ذلك أو بغير ذلك ، ان أمكن • وأما خبر الواحد فانما لم يفد العلم لعروض الشبهة فى كونه خبر الرسول •

فان قيل : فان كان متواترا أو مسموعا من فى رسول الله ـ عليه السلام ـ كان العلم الحاصل به ضروريا • كما هو حكم سائر المتوترات والحسيات • لا استدلاليا • قلنا : العلم الضرورى

فى المتواتر عن الرسول هو العلم بكونه خبر الرسول — عليه الصلاة والسلام — لأن هذا المعنى هو الذى تواتر الاخبار به • وفى المسموع من فى رسول الله صلى الله عليه وسلم هو ادراك الألفاظ ، وكونها كلام رسول الله (١) عليه الصلاة والسلام •

والاستدلالى : هو العلم بمضمونه وثبوت مدلوله • مثلا : قوله عليه الصلاة والسلام « البينة على المدعى ، واليمين على من أنكر علم بالتواتر • أنه خبر الرسول صلى الله عليه وسلم وهو ضرورى • ثم ، علم منه : أنه يجب أن يكون البينة على المدعى • وهو استدلالى •

فان قيل : الخبر الصادق المفيد للعلم ، لا ينحصر فى النوعين، بل قد يكون خبر الله تعالى ، أو خبر الملك أو خبر أهل الاجماع ، أو الخبر المقرون بما يرفع احتمال الكذب • كالخبر بقدوم « زيد » عند تسارع قومه الى داره • قلنا : المراد بالخبر(٢) خبر يكون سبب العلم لعامة الخلق ، بمجرد كونه خبرا ، مع قطع النظر عن القرائن المفيدة لليقين بدلالة العقل • فخبر الله تعالى أو خبر الملك ، انما يكون مفيدا للعلم بالنسبة الى عامة الخلق ، اذا وصل اليهم من جهة الرسول عليه السلام ، فحكمه حكم خبر الرسول . وخبر أهل الاجماع فى حكم المتواتر • وقد يجاب بأنه لا يفيد بمجرده ، بل فى النظر فى الأدلة(٣) الدالة على كون الاجماع حجة • قلنا : وكذلك خبر الرسول ، لهذا جعل استدلاليا •

(وأما العقل) وهو قوة للنفس ، بها تستعد للعلوم والادراكات• وهو المعنى بقولهم : غريزة يتبعها العلم بالضروريات عند سلامة الآلات • وقيل : جوهر يدرك به الغائبات بالوسائط ، والمحسوسات بالمشاهدات (فهو سبب العلم أيضا) صرح بذلك لما فيه من خلاف الملاحدة والسمنية ، فى جميع النظريات ، وبعض الفلاسفة فى الالهيات بناء على كثرة الاختلاف وتناقض الآراء • والجواب : ان ذلك لفساد النظر فلا ينافى كون النظر الصحيح من العقل ،

---

(١) صلى الله عليه وسلم : غ • (٢) بالخبر : سقط غ •
(٣) الادلة على : ط •

مفيدا للعلم • على أن ما ذكرتم استدلال بنظر العقل ، ففيه اثبات ما نفيتم ، فيتناقض •

فان زعموا انه معارضة للفاسد بالفاسد • قلنا : اما أن يفيد شيئا فلا يكون فاسدا أو لا يفيد فلا يكون معارضة •

فان قيل : كون النظر مفيدا للعلم ان كان ضروريا لم يقع فيه خلاف • كما فى قولنا : الواحد نصف الاثنين وان كان نظريا لزم اثبات النظر بالنظر ، وأنه دور • قلنا : الضرورى قد يقع فيه خلاف ، اما لعناد أو لقصور فى الادراك • فان العقول متفاوتة بحسب الفطرة باتفاق من العقلاء ، واستدلال من الآثار وشهادة من الأخبار • والنظرى قد يثبت بنظر مخصوص لا يعبر عنه بالنظر ، كما يقال : قولنا العالم متغير ، وكل متغير حادث ، يفيد العلم بحدوث العالم بالضرورة • وليس ذلك لخصوصية هذا النظر ، بل لكونه صحيحا مقرونا بشرائطه • فيكون كل نظر صحيح ، مقرون بشرائطه ، مفيدا للعلم • وفى تحقيق هذا المنع زيادة تفصيل لا يليق بهذا الكتاب •

(وما ثبت منه) أى من العلم الثابت بالعقل (بالبديهة) أى بأول التوجه من غير احتياج الى(1) تفكير (فهو ضرورى ، كالعلم بأن كل شىء أعظم من جزئه) فانه بعد تصور معنى الكل والجزء والأعظم ، لا يتوقف على شىء • ومن توقف فيه حيث زعم أن جزء الانسان ، كاليد مثلا ، قد يكون أعظم من الكل ، فهو لم يتصور معنى الكل والجزء • (وما ثبت به بالاستدلال) أى بالنظر فى الدليل • سواء كان استدلالا من العلة على المعلول • كما اذا رأى نارا فعلم أن لها دخانا أو من المعلول على العلة • كما اذا رأى دخانا ، فعلم أن هناك نارا • وقد يخص الأول باسم التعليل والثانى بالاستدلال (فهو اكتسابى) أى حاصل بالكسب • وهو مباشرة الأسباب بالاختيار ، كصرف العقل والنظر فى المقدمات فى الاستدلاليات ، والاصغاء وتقليب الحدقة • ونحو ذلك فى الحسيات • والاكتسابى أعم من الاستدلالى ، لأنه الذى يحصل بالنظر فى الدليل ، فكل استدلالى

---

(1) الى الفكر : ط •

(2) ثبت بالاستدلال : ط •

اكتسابى ، ولا عكس • كالابصار الحاصل بالقصد والاختيار • وأما الضرورى فقد يقال فى مقابلة الاكتسابى • ويفسر بما لا يكون تحصيله مقدورا للمخلوق • وقد يقال فى مقابلة الاستدلالى ، ويفسر بما يحصل بدون فكر ونظر فى دليل • فمن ههنا جعل بعضهم العلم الحاصل بالحواس اكتسابيا ، أى حاصلا بمباشرة الأسباب بالاختيار • وبعضهم ضروريا أى حاصلا بدون الاستدلال • فظهر أنه لا تناقض فى كلام صاحب « البداية » حيث قال : ان العلم الحادث نوعان ضرورى : وهو ما يحدثه الله فى نفس العبد من غير كسبه واختياره ، كالعلم بوجوده وتغير أحواله • واكتسابى : وهو مايحدثه الله فيه بواسطة كسب العبد ، وهو مباشرة أسبابه • وأسبابه ثلاثة: الحواس السليمة ، والخبر الصادق ، ونظر العقل •

ثم قال : والحاصل من نظر العقل : نوعان : ضرورى يحصل بأول النظر من غير تفكر كالعلم بأن الكل أعظم من جزئه (١) • واستدلالى يحتاج فيه الى نوع تفكر ، كالعلم بوجود النار عند رؤية الدخان (والالهام) المفسر بالقاء معنى فى القلب ، بطريق انفيض (ليس من أسباب المعرفة بصحة الشىء عند أهل الحق) حتى يردبه الاعتراض على حصر الأسباب فى الثلاثة المذكورة (٢) • وكان الأولى أن يقول : أسباب (٣) العلم بالشىء ، الا أنه حاول التنبيه على أن مرادنا بالعلم والمعرفة واحد ، لا كما اصطلح عليه البعض من تخصيص العلم بالمركبات أو الكليات والمعرفة بالبسائط أو الجزئيات • الا أن تخصيص الصحة بالذكر مما لا وجه له • ثم الظاهر أنه أراد أن الالهام ليس سببا يحصل به العلم لعامة الخلق، ويصلح للالزام على الغير ، والا فلا شك أنه قد يحصل به العلم • وقد ورد القول به فى الخبر (نحو قوله عليه الصلاة والسلام « ألهمنى ربى »)(٤) وحكى عن كثير من السلف •

وأما خبر الواحد العدل وتقليد المجتهد ، فقد يفيدان الظن ، والاعتقاد الجازم ، الذى لا يقبل(٥) الزوال • فكأنه أراد بالعلم

---

(١) جزئه : خ •
(٢) المذكورة : ساقطة خ •
(٣) يقول اسباب : خ •
(٤) ما بين القوسين : سقط خ •
(٥) الذى يقبل : خ •

ما لا يشملها • والا فلا وجه لحصر الأسباب فى الثلاثة (والعالم) أى ما سوى الله تعالى من الموجودات مما يعلم به الصانع • يقال عالم الأجسام وعالم الأعراض وعالم النبات وعالم الحيوان ، الى غير ذلك ، فتخرج صفات الله تعالى ، لأنها : ليست غير الذات كما أنها ليست عينها (بجميع اجزائه) من السموات وما فيها والأرض وما عليها (محدث) أى مخرج من العدم الى الوجود • بمعنى أنه كان معدوما ، فوجد ، خلافا للفلاسفه • حيث ذهبوا الى قدم السموات بموادها وصورها وأشكالها ، وقدم العناصر بموادها وصورها ، لكن بالنوع بمعنى أنها لم تخل عن صورة قط(١) عن صورة ما • نعم أطلقوا القول بحدوث ما سوى الله تعالى ، لكن بمعنى الاحتياج الى الغير ، لا بمعنى سبق العدم عليه •

ثم أشار الى دليل حدوث العالم بقوله (اذ هو) أى العالم (أعيان وأعراض) لأنه ان قام بذاته فعين • والا فعرض • وكل منهما حادث لما سنبين • ولم يتعرض له المصنف — رحمه الله تعالى — لأن الكلام فيه طويل ، لا يليق بهذا المختصر • كيف وهو مقصور على المسائل دون الدلائل (فالأعيان ما) أى ممكن يكون (له قيام بذاته) بقرينة جعله من أقسام العالم •

ومعنى قيامه بذاته عند المتكلمين : أن يتحيز بنفسه غير تابع تحيزه لتحيز شىء آخر بخلاف العرض فان تحيزه تابع لتحيز الجوهر ، الذى هو موضوعه . أى محله الذى يقومه • ومعنى وجود العرض فى الموضوع : هو أن وجوده فى نفسه هو وجوده فى الموضوع • ولهذا يمتنع الانتقال عنه بخلاف وجود الجسم فى الحيز فان وجوده فى نفسه أمر ، ووجوده فى الحيز أمر آخر • ولهذا ينتقل عنه • وعند الفلاسفة • معنى قيام الشىء بذاته : استغناؤه عن محل يقومه • ومعنى قيامه بشىء آخر : اختصاصه به ، بحيث يصير الأول نعتا والثانى منعوتا ، سواء أكان متحيزا كما فى سواد الجسم ، أو لا (٢) وكما فى صفات المجردات •

(وهو) أى ماله قيام بذاته من العالم (اما مركب)

---

(١) عن صورة ما : سقط ط .

(٢) او لا كما فى صفات الله تعالى. والمجردات (وهو) ... الخ : ط . الجسم او لا وكما فى صفات المجردات . وهو ... الخ : غ .